(١)

الاتصال الروحي
واقع الحياة ورسالتها
في عالمي الإنسان
يقوم به الدين وتثمر به المعرفة وتشرق به العقائد ويفيض به التطور ويستقيم به العلم وتزدان به المدنية ويتحقق به السلام

تتساءل البشرية بينها في سائر عوالمها، كلما استيقظ منها مستيقظ إلى أبعد مما هو فيه، كيف تواجد جنسها ومتى بدأ وأين؟ كما تتساءل البشرية على الأرض حيث الخلافة على هياكل الذوات وأرض القلوب لعوالم مفرداتها، من القائم على كل نفس، ترى هل بدأت تواجدها بوجودها في عالمها هذا، وعلى هذه الصورة فيه، أم على أرض أخرى! وعلى صورة أخرى! وسواء كان هذا أو ذاك، هل لها إلى أرضها أو عالمها هذا مرجع! وعلى أي صورة! وكيف! وسواء كان هذا أو ذاك، فهل يكون هذا مرة، أم في الأمر نظام ودورة!

هذه الحياة! ما هي ماهية هذه الحياة! هل هذه هي الحياة! وغيرها من صور التواجد، ألا يتصف، وألا يحمل اسم الحياة! هل هذه الساعة من التواجد في دوام الوجود هي كل الحياة لأحيائها أم هي فترة وصورة من حياة متواصلة في أطوار متصلة! وإن كانت جزء الحياة فمن أية مرحلة للحياة تكون هذه الحياة! ومتى بدأت وإلامَ تنتهي! ومن أين جاءت! وأين هي الآن من وضعها في الوجود! وإلى أين هي غدا! وكيف! كيف جاءت؟ وكيف قامت؟ وكيف تصير!

لقد حاول مؤسسو الأديان ومتابعوهم أن يشبعوا الرغبة الغريزية عند الإنسان للمعرفة بالإجابة عن هذا التساؤل فيما كشفوا عن حقائق الحياة في مدارسهم الدينية لأبنائهم في الروح ومتابعيهم إليها، ضاربين المثل بذواتهم وأرواحهم في بيوتهم وجمعهم، وهي المحاولة التي قامت على أساسها مدرسة

الحكمة بالحكماء من قبل النبوة ومن بعدها، إعمالا لقانون الفطرة بين جانبي الحياة لا انفصال لهما للجنس البشري الفطري الوجود والتواجد، المنتهي دائما وأبدا إلى الإنسانية القدسية الأزلية، وهذه هي نفس المحاولة التي يجددها العلم الآن في هذا العصر، حاملا أمانة المعرفة ونشرها، مستقلا عن الحكمة القائمة بعد إهمالها، وعن الأديان العاملة بعد تحريفها، وذلك إعمالا لقانون الفطرة وشرائع الطبيعة في تطور الكائنات في القيام الفطري والإدراك عنه، بالترنم مع القدرة الفاعلة في تنسيق الذبذبة للجزئيات بتجميعها على الذبذبة الكلية لكليات التواجد في هذا الوجود اللانهائي.

وما كانت الحكمة إلا الأصل الأول للأديان قرين تواجد أهلها على الأرض، في تطور انتهى لكمال نفوسهم بالتصاعد منها والبعد عنها، وقد نشأت النبوة بعودتهم إليها بمجالات من ذوات لهم على مثال من ذوات بدئهم بوصف الأنبياء، كان نوح بدأهم ومحمد لهم ختام. به كان للحكمة عودة بالحكماء يبعثون من خلال معناه بالأبوة بعثا لمجالاتهم بالنبوة في معاني العباد المتابعين له لتتصاعد عن ذواتهم ونفوسهم وعقولهم معانيهم لمستويات أعلى للرشاد، مواصلة لأطوار الحياة، وتجديدا للنفوس والعقول الكلية في شقي التواجد للوجود المتحد الحر المطلق.

وما كانت الأديان في الواقع إلا أصلا للعلم، وما اختلفوا في أمرهم عليها إلا بعد الذي جاءهم من العلم عنهم، ولن يتفقوا عليها شأنا لهم ولخيرهم، وليست سلطانا عليهم لكبتهم إلا بعد تطور العلم عنهم. فما كان العلم إلا ما وراء الحكمة والأديان، وما العلم اليوم إلا في طفولته، وما هو في هذه الطفولة إلا ثمرة للأديان في الحقيقة والواقع. فالعلم بقديمه لجديده حقه. والعلم بجديده لقديمه خلقه. وما كان محل العلم قديما أو حديثا إلا الإنسان، فهو كتابه وقرآنه وتوراته وإنجيله وفيداه. وما كان الإنسان في قديمه إلا مظهرا للأقدم منه. وما كان الإنسان في حديثه إلا أصلا للأحدث منه. فإذا تقادم الحديث وتجدد القديم، التقى الإنسان في نفسه من حاضره بالأقدم والأحدث، التقى بمعانيه في ذاته فرعا للقديم وأصلا للحديث وقياما للروح الحاضرة. فإن الأب فرع عن الجد وأصل للابن، يدرك قانون الأبوة بأبيه، ويدرك قانون البنوة بابنه، وإلى ذلك انتهى علم الأديان الهدي إلى عيسى عن الإنسان. ووراءه لم يجاوز لعلام الغيوب الذي لقي فضلا عن السير إلى الغيوب أو التلقي عنها، وهي المحاولة التي طلبها العلم وبدأها وطرقها محمد بالدين فجعل من العلم دين كما جعل من الدين علم، طلبا لمعاني الرفيق الأعلى بعد معرفته عن النفس والالتقاء بأصولها من السبق، وفروعها من اللحاق التي حمل لواء التعريف عنها بالعلم والدين من بعد سابقيه من الأوادم ومن أبناء الأوادم من الأنبياء والحكماء بحثا عن الحقيقة وسر الحياة وتعريفا عنهما، وهو ما قام بمواصلته من بعده القوم مجحودين، وهو عين ما يجيء به اليوم أهل العلم من عوالم الروح من الآباء ليجددوه بيننا مرشدين بعد غفلتنا عنه ليسدوا

هذه الثغرة، وليشبعوا هذه الفاقة، ويقوموا ما اعوجت إليه طريق الأديان ومسالك أهلها، وما جنحت عنه علوم البشرية ومعارفها جنوحا عن موارد الحياة حتى ترتد سفينة الحياة إلى شاطئ السلام وقد مالت إلى الهاوية بجهل ربابنتها وغفلة راكبيها.

إن محاولة محترفي الدين لإقامة ونشر المعرفة بعيدا عن العلم، أضعفت إمكانياتهم لتحقيق الإجابة على ما يتساءل عنه الإنسان، كلما تجددت أجياله واستقامت أحواله في طلب المعرفة عن نفسه، ومصدره ونهائيته أو لا نهائيته حتى تكون له من هذه الحياة غاية يعمل لها، فيسعد بشقائه وهو يسعى في طلب سعادته وفي سبيلها، بها يترفع عن جلباب حيواني ماديته، ويعلو ويزهو بمعنوي أنانيته، ويمتطي نفسه بقيادة عقله مستعينا بقدرات روحه في بحار روح الحياة العظيم، والأعظم، واللانهائي لأناه الروحي، فيمتلك ذاته ويطورها إلى جديد لها من فعله، ويبذلها رخيصة عند الضرورة في سبيل كسب معنوياته، فيجعل من قلبه أرضا طيبة جديدة نامية لأهله من فيض حبه وضع يده وقائم تكاثره، كما يجعل من رأسه شمسا مشرقة، علما ودليلا عليه إنسان ربه، ومن أطرافه سيارات وأقمار لجديد كونه، بتقطيع أرضه يعمل بها في جديد تناثره، هيأها لعالمه من أهل محبته ومتابعته لمعانيهم به بمغناه في دورته بأكوانه، وفي وجوده الكبير مظهرا لموجوده وعلما على أحديته بأحديته.

فالناس ببعدهم عن العلم حمل إليهم في عبارات وكلمات وآيات النبوة والإنباء المتواصل انحرفت بهم الطريق إلى طريق نفوسهم المنحرفة إلى الهاوية، هم ومن تحمل سفن نفوسهم من المعطلين لعقولهم، والمجرمين في حق أنفسهم بوهم روادهم الغافلين حتى عن أنفسهم.

ومع الأسف الشديد فإن المنشغلين بالبحث عن المعرفة من المستأجرين عليها المسترزقين بالعلم، لم يخرج أمرهم عن المسترزقين بالدين، فقد انحرفت بهم مراكب نفوسهم وحملوا الإنسانية معهم إلى حافة الهاوية بابتعادهم بالعلم عن حقل الدين، وبالدين عن حقل العلم، نافرين من الدين حتى لأنفسهم. وما اجتمع الدين على العلم إلا في استقامة ذوات العلماء في العقائد، أو في إيمان رجال الدين بالعلم رائدا لهم في نشر واجب المعاملة مع الله وتقبل فيوضات المناسك للنفس.

إن الإنسان في الحقيقة هو المعلم والمتعلم الدائمان كما هو في ذاته كتاب ولباب العلم. فإذا اعتقد الناس الكتاب لجمال غلافه دون أن يقرأوه، فقد عبَّدوا أنفسهم لمادي ذواتهم في ذات قدسوه وتابعوه، فما نارت عقولهم، وما أشعلت نفوسهم، وما تحررت أرواحهم، وما تطورت لهم ذواتهم. فإذا قرأوا الكتاب ولم يدركوه، تحركت نباتيتهم وحيوانيتهم، فتجمعوا عن أشجارهم متساقطين كأوراق الخريف تتساقط تحت الأقدام، طعاما للأنعام، وتحدثوا بحيوانيتهم كنقيق الضفادع أو مواء الأغنام، فقدموا الآيات كما تقدمها لعابث الببغاوات، وحتى إذا قرأوا الكتاب مجتهدين، فلا يجوز لهم أن يتجاوزوا

مقاعدهم إلى مقاعد المعلمين، وإلا فما علَّموا إلا هراءً، وما انتظروا لعملهم إلا عفاءً، ولا لكتب ذواتهم إلا أن تذهب هباءً.. فماذا فعل الناس وإلامَ وصل الناس؟!

كشفوا عن أسرار الذرة فالقين، فتكشف لهم رب الفلق مسفرا لليقين فنشروا الفلق مفسدين، وما آمنوا برب الفلق للإيمان ناشرين. وهم الآن يبحثون وراء رتق الذرة ليكشفوه ويفعِّلوه مسخِّرين، وسوف يتكشف لهم ما داموا لهذا طالبين، وإلى تحقيقه ساعين، وفيه عاملين، بحكم قانون الفطرة في إجابته لأبنائها دائبين. فهل إلى فاطر السموات والأرض اجتماعا عليه يقصدون، وإلى الرتق بين شقي الإنسان يسيرون، وإليه يسعون؟ أم أنهم إلى رتق الأرواح دون الأشباح يسعون، فلهذه الحياة بمادياتها يدمرون، والأرواح عن أشباحها يفصلون في معركة لا على الحق ولا لنشر اليقين؟ وما شرعت لهم الحرب يوما حتى دفاعا عن دين، بل هم ثمار الشجرة، قبل أوان نضجها يسقطون، وبالفساد يتفاخرون وبالفجور يتعالون.

هل أفادهم هذا الذي كشفوا بخارجهم من الطبيعة في كشف ما بداخلهم منها، وفي داخلهم المفعِّل الذرى والإلكتروني ومصانع الفلق والرتق من أعضاء الجسد في وظائفها تهيأ للتطور، كما أن بهم مراكز الاستقبال والإصدار والرد من الجهاز العصبي، وكذلك مراكز الغدد الصماء للتوجيه اللاسلكي في عوالم ذواتهم، كما أن فيهم الجهاز العصبي للرباط الاتصالي الدائم اللاإرادي مع مركزه من الرأس، وما إلى ذلك من عمل دائب إرادي ولا إرادي، هو قوام حياة أجسادهم في حركتها الظاهرية، وحركاتها غير المرئية، ونشاطها الذي لا يتوقف؟

هل آمن العلماء بباطن الحياة للذات لا سلطان للإنسان عليها بظاهره وقد تواجدت الذات ظهورا له، فآمنوا بالحياة في ديموميتها تقرأ في كتاب التعريف المؤقت عنها بالجسد المتجدد المستبدل، فعرفوا أن هذا الكتاب ما وضع إلا لمراحل التعليم الأولى؟ وأن كتبا أرقى في الانتظار لمن يواصل طلب المعرفة والقراءة لكتابه؟ كيف يمكن للعلم دراسة النفس وهو لا يعرفها إلا جسدا موقوتا، فلا يبحث وراء قديم لها، ولا يحاول تكرار الحاضر منها، أو إنشاء القابل بأجساد تملك لها هي ألواح في كتابها الأزلي الأبدي السرمدي، الصادر من طبيعتها وهي طبيعة الحق لها ذاتا، وروحا، واتحادا، ووجودا؟ كيف يمكن فهم الحقيقة إذا لم يفرق العلم أو الدين بين الدائم والموقوت في شخصية الكائن البشري إذا لم يفرق بين الموجود الجمادي والنباتي والحيواني له، والموجود الإنساني والإلهي به؟

إن العالم في هذا العصر يتمتع بمدنية مادية لم يسبق له - في حدود تاريخه المعلوم له - أن شاهدها. وهي على ظاهر جمالها لم تحقق له ما تصبو إليه نفسه من حياة السلام. وإذا أردنا أن نحدد لهذه المدنية مصدرا عنه أخذت، فما كان مصدرها إلا ما في الإنسان على صورته المادية في عالمه هذا من الأرض

بما عرف له عن أسرار نفسه. وما كانت هي بأسرار في الحقيقة لأنها واقع فيه، تكشف له في ارتداده بالتأمل لنفسه وفي ذاته بعد أن أعياه البحث عن الحقيقة خارجها بتوجيه المنحرفين الضالين المضلين من أدعياء الدين. وهو إذ يرجع إلى نفسه متأملا ما قام إلا فيما أمر به الدين كتابا وهدى إليه فطرة. وما عرف فيما عرف إلا قشورا عن نفسه.

ولكن للأسف أخذ الإنسان من مظهر النفس وعمل على محاكاة أبعاضها من الجوارح الظاهرة له بوظائفها به، فاخترع الآلات والأجهزة التي قلبت حال هذه الدار ومظاهر الحياة فيها، دون أن ينتفع بالثمرة الصالحة للارتداد إليها والتأمل فيها، والربط بين ذاتها ومحيطها، بأن يواصل هذا الارتداد إليها عبر الزمن وعبر حدود مظهرها من المادة.

ما كان هذا مستحيلا على العلم، وما كان بعيدا عن متناول العلماء ولن يكون. وما صدرت الحكمة، وما قامت النبوة، وما تواجد الصادقون من علماء الدين إلا به، وما صدروا إلا عنه. وما قامت علوم الطب والطبيعة والكيمياء والجبر والرياضة والفلك والسياسة في أحوال صلاحيتها واستقامتها قديما وحديثا، إلا من فيض النفس الصالحة له، من معلم لها فيها من شق الحياة الغيبية لها، القائم على مظهرها من الذات، عنه أخذت وبه عملت وله في قيامها أظهرت.

وحتى علماء النفس الذين شغلهم استكناه أمر الذات البشرية وما تحوي لا يلتفتون للأسف لما يتكشف لهم من تعدد معاني الحياة في الذات الواحدة، وصراع الصفات الحية فيها لكشف قيام النفس من حيواتها بجديد الجلباب من الذات، أو ما قد يخلق الفعل فيها من ألوان الحياة وما سبق أن خلق، وكذلك علماء الطب بما يتكشف لهم عن تطور العلقة والمضغة والخلية الأولى للجنين، والصور المتعاقبة في تطوره، لا يفلسفون ولا يدركون تسجيل أطوار المادة في كتابها من الذات البشرية، وما يمكن أن يواصلوا هذا التطور فيحاولون الكشف عنه. وهؤلاء وغيرهم من علماء الجيولوجيا والطبيعة والرياضة لا يلفت نظرهم البديهية الأولى للعلم عن الطبيعة من ثبات قوانينها، ودوام فعلها، وإنتاجها للآثار الملازمة لأعمالها، إذ يقولون المادة لا تفنى ولا تستحدث، ثم يقولون ببداية للإنسان كتاب الطبيعة ومظهرها ووليدها، ولو عمقوا إلى ما وراءه منها لوجدوه مصدرها وأبوها وسيدها، وهذا ما حملته لهم الأديان بمعلومها. ولكنهم قد باعدوا بين معلوم الدين إليهم وما يعطي العلم عن ظاهر الحياة لهم منهم، باعدوا بينهم والناس معهم عن الانتفاع بقوانين الحياة يأتي بها الدين لتعمل بها الدنيا، فيرتفع الناس من تحت الطبيعة إلى أحسن تقويم مما هو فوق الطبيعة من الجنس، اجتيازا لعوالم الطبيعة مهيأة ومسخرة لهم وعين معناهم لهم في مراحل منهم لمرتقاهم.. إن الحياة على ما هي عليه كانت على ما هي عليه، وستبقى على ما هي عليه لا بدء ولا انتهاء لها، ولكنها في وحدتها

الثابتة أمر يتجاوز لما نسميه الأرض والسموات. وما أمرها إلا مظهرا لمثاله من الأمور لا عد ولا حصر ولا بدء ولا انتهاء لها.

إن أثمن الكشوف العلمية التي تتمتع بها البشرية في هذا العصر ما تواجد إلا ثمرة لما سماه مكتشفهم بالصدفة، وليس في الوجود ما هو صدفة. فما كان مثله فيه إلا كطفل عابث أو مجتهد أخطأ الطريق فتلاقى مع الصواب بتوجيه غير مدرك، أو اجتهد فتأمل فكشف فتابع فاكتشف ما قدمه للبشرية من أنباء عن عوالم غير منظورة، أو قوانين قائمة في الطبيعة غير مدركة، كانت سببا في تغيير معالم الحياة التي ما زالت في تطورها يوما بعد يوم في خطاها الأولى، وإنها لواصلة يوما إلى أعماق النفس البشرية ومستخرجة منها كنوز سعادتها الذاتية والاجتماعية، يوم يعلم الإنسان أن السعادة والشقاء لا يتواجدان إلا في داخل الإنسان، وأن سعادة المجتمع لن تتحقق إلا بحرصه في أهدافه على سعادته الداخلية وحريته الفردية وعدم تحديد الخدمة وقصرها على أمانه المادي بالحرص على الحياة المادية، وهو الحرص الذي هو عين التفريط لأنه لا يؤدي إلى الغرض منه، وعدم جعل مجتمع الأجهزة البشرية أساسا ومصدرا للسياسة والسيادة الاجتماعية، وإن كان هو الحقل الحقيقي لمجال الخدمة الإنسانية من الأرواح الحية بين مفرداته. فإن هذا هو ما يوصف بالفساد ولا يصح اتصافه بالإصلاح في نظر الحقيقة الإنسانية، ولن يتحقق به ما يواصل الناس الحديث عنه عن السلام أو الأمن والأمان.

يجب أن يتعلم الفرد طريقه إلى السعادة الداخلية بالإيثار وتحمل المشاق في سبيل خدمة الآخرين بإدراك الأخوة الإنسانية للبشرية معاملة مع الأبوة المقدسة المرضية لأزل الجنس في أحديتها، ووحدانيتها، وإحاطتها بحياة أبنائها من مفرداته، لا فرق في هذا بين أنبيائهم، وحكمائهم، وعلمائهم، وجهالهم، وغافليهم، أو حكامهم ومحكوميهم.

وهذا لا يتحقق للفرد عن طريق قصر البنوة عليه أو على أحد أخوته. ولا يصلح به المنتفع به ممن هو في حاجة إليه من أخوته إلا عن طريق تلقيه من فيض محبة أخيه. إن القانون البغيض عند من شرع له لن ينتج عملا حبيبا في مجتمع تطبيقه.

يجب أن يتعلم الفرد تفاهة وجوده المادي أمام وجوده المعنوي، وتفاهة عمله المادي الصادر عن جوارحه بالمقارنة لعمله المعنوي الصادر عن قلبه وعقله، وتفاهة حاضر الوجود أمام مرجو التواجد. يجب أن يعرف كيف ينتفع بحاضر وجوده لقادم تواجده. يجب أن نفرق بين الإنسان الزارع الحاصد والإنسان المزروع المحصود. يجب أن نفرق بين الإنسان الطعام والإنسان الطاعم.. بين الإنسان الخالق والإنسان المخلوق.. بين صورة الإنسان والإنسان.. بين الإنسان المعبر والإنسان

المعبر به.. بين الحق والخلق.. بين الواضع والموضوع.. بين الفاعل والمفعول... بين الوجود والخيال.. بين الحي والتمثال.

إن الإنسان في الطبيعة هو ثمرة الطبيعة التي تنتجه وتستهلكه، ولكن في الثمار نواة قلّ أن تؤكل هي سر الأشجار. فهل هو وإن كان للطبيعة الثمرة، هل فيه نواة الشجرة؟ وإن كان! فكيف يصبح النتاج مصدرا للإنتاج؟ إن الإنسان يعرف كيف يفعل بالبذور، وكيف يدفنها في الأرض فتغوص بالجذور، ثم تتصاعد على الأرض بالجذوع، وفي السماء بالغصون وبالفروع. فأين أرضه فيدفن؟ وأين زارعه فيخشع؟ إن الثمرة أنتجتها الشجرة، والذي أخرج الشجرة هو الذي أكل الثمرة. إنه التراب والماء، وإنه الأرض والسماء. إن الإنسان للإنسان هو الشجرة والثمرة، وهو التراب والماء، وهو الأرض والسماء. ليس للطبيعة في مظاهرها ما هو أقوى في تعبيره عنها من الإنسان في مثاليته لها بظاهره منها، إنه الطبيعة وما فوق الطبيعة من طبيعة، وما دون الطبيعة من طبيعة. فلمَ لا يرتفع الإنسان من الثمرة للإثمار ومن الشجرة للإشجار؟ ومما دون الطبيعة إلى الطبيعة وما فوق الطبيعة؟ إن الإنسان هو الطبيعة في مفرداته وجماعاته، وإن الإنسان هو ما دون الطبيعة في طبيعته بمفرداته وجماعاته. فلمَ لا يرتفع من طبيعته مما دونها إلى طبيعته مما فوقها بجماعاته خلف مفرداته، وبمفرداته خلف جماعاته؟

إن الثمرة أحياها فناؤها في مصدرها. منه بعثت بمخبرها. ولو تجاوزت فناء ما عرفت من مصدر، لبعثت بالأكبر لها من مخبر. إن الإنسان لو دفن في أبنائه أرضا له، لبعث منهم بآبائه شجرة لهم. ولو جاوز بعمله إلى أحفاده لتواجد من أحفاده بأجداده، ولو جاوز في تجاهل نفسه فناء إلى ما لا يعلم لبقي مبعوثا متجددا إلى ما لا يدرك، ولا يُعلم.

إن الذات البشرية هي أرض العقل المصلحة له، وإن القلب منها أرضه الجديدة الصالحة لتطوير قديمه نفسا له، فإن عملت جوارح الأرض المصلحة لحرث وإثمار الأرض الصالحة، لتواجد العقل بقديمه مرة أخرى على أرض عالمه الجديد بما كسب في كشف قدسية معناه بقراءة مشاهداته لعالمه القائم.

إن للعقل بلطائفه من الروح والنفس شأن مستقل عن الذات والقلب، وهو وإن كان سر الحياة لهما إلا أن حياته لا تتوقف عليهما ولا ترتبط بهما، ولكن ظهوره وتطوره ورقيه لا يكون إلا بهما. إن الموت لا يلحق إلا الذات والقلب، ولكنه لا يلحق العقل ولطائفه. فهو موجود قائم بلطائفه قبل مولد الذات والقلب من الأب وتغلفه بأرض الذات من الأم. وهو يلازم جهازي إنشائه الواحد بعد الآخر من الأبوين حتى يتوالد منهما، فيلازم جهازه الخاص متخليا عنهما. فينمو هذا الجهاز في حدود صوره من أصل نفسه التي تملكه من فيض الروح في رعاية العقل.

إن العقل ينمو في تكرار التجربة بتواجده بذواته في عوالم النفس وعوالم الروح. أما هو بطبيعته فمتصل بعالمه الكبير حيثما وجد. ينمو في وعيه عن تجاربه في رعاية العقول الكلية للوجود.

إن العقل لا يضاف إلى جهازه بالبشرية. ولكن جهازه من البشرية هو الذي يضاف إليه بوصف العبد له، الحق به قائم. إن البشرية جميعها إنما هي جهاز من أجهزة بمعناها لعقل كلي واحد يدبر أمرها من السماء إلى الأرض، ويجني ثمارها من الأرض إلى السماء.

إن مفردات الجهاز البشري لا يحتفظون بشرف الوصف بالبشرية في الانتساب إلى العقل الكلي لهم إلا عن جدارة، بما يصدر عنهم برباطهم به لخير مجتمعهم من فيضه وتوجيهه.

إن المستوي على عرش السموات والأرض إنما هو العقل الكلي لمفردات الجنس البشري المتواجد في ظهوره من كنزية معناه على هذه الأرض نفسا له وصفت بالحياة مضافة إليه يوم استوى إلى الأرض فكانها فظهرته فأخرج منها ماءها ومرعاها، يوم انفعلت بالحياة في استوائه فاهتزت بالحياة ربا لأحيائها فربت مضافة إلى ربها ومستويها وعين الحياة عليها وعين الحياة فيها. إن روح الحياة في مادتها هو بعينه روح الحياة في نباتها وحيوانها وبشرها. إن تجمعات الحياة بصورها من الجماد والنبات والحيوان والبشر المنطلقة طاقات حية طليقة من دحية الأرض في معمل التفريخ الكوني الدائم تحت الشمس الممسكة بدحاها المحيطة بها، تتجمع سحبا لسدم في أطوار نشأتها تتلاحق وتتكاثف في طبقات متصلة تحمل صور ومعاني الحياة التي تواجدتها ثم انفصلت بها عن كثيف كونها إلى لطيفه المتقبل لمواصلة الانفعال، لإرادة روح الحياة، والمتكيف على صور مرادها من العقل الكلي، المجدد لنفسه منها على دوام، والمتجدد بمعناه على تعاقب، والمستوي بجديده كلما تصاعد عنها قديمه، على تعادل في الصعود والاستواء، كاملا في حاضره من ظاهره، وكاملا في غيبه من باطنه، له المثل الأعلى في السموات والأرض مصطفيا من بين أبعاض كلياته لكلياته، على ما اصطفى آدم لنفسه من كليات كله بشرا فكان باصطفائه إنسانا، وكان بإنسانه حقا لحقيقته وعنوانا.. بيت قبلته وطريق وصلته، به عرف محمد أن صفة العبودية للأنا من الإنسان، أرقى صور الرباط بالهو للرحمن، من حقيقة معناه، وأن اللانهائي المعبود للإنسان يقوم به العبد العابد في قيام لانهائيته في خلقه، بدوام التعبيد للانهائي معبوده، وأن الخالق والمخلوق وجهان للأزل والأبد في الإنسان. بهما عرف أن الزمان صفة الإنسان، في حال توقيته في الظهور، وأن الدهر ليس بعيدا عن وصفه في تشريفه بسرمدي الحضور.

إن كل ذات بشرية لها وجودها وكيانها المستقل عن مثيلاتها. وقد تواجدت على مثال لا تختلف فيه قيد أنملة عن تواجد مثيلاتها من حيث الجلباب. ولكنها تختلف بخلقها مظهرا لما فيه، وإن كان

جوهرها يتصل بخارجه من الذات على صورة متشابهة، في التعامل وفي الروابط فهي في معناها تحمل معاني لكلياتها إلى الكل لها، وهي في مبناها، سر الوجود حكما، وهي كون في محيط الأكوان فعلا.

تتجمع الذوات وتتبادل الخدمات للجسد أو تتنافر عليها لإقامة الروابط الداخلية المسعدة أو تبقى في حال من الظلام بالغفلة عنها، فتعيش مواصلة الحياة على الأرض على حساب إنهاء ظاهر الحياة عن غيرها، من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، متجاهلة أنهم أُخوتها من الأحياء من أبناء الأرض، فتستهلكهم عنهم بقولها البقاء للأصلح.

إن الكائنات الحية على الأرض تقوم في جهاز له حركة وحيوية تعرف له بداية وتوقن له بنهاية. فالبشرية في عماء عن معناها تقدره أنانيتها وتلتصق به، ولا تحاول التجرد عنه أو التحرر منه قبل انهياره، ولا تقبل دعوة التحرير لأنانيتها، ولا تصدق أنه جلباب أو دار مُعار لها من الأرض، ولا أنها تستطيع عمل وامتلاك الكثير من نوعه، أو أنها إن تحررت تستطيع إعادة صنعه من عملها على صورة أصلح للخدمة وأصلح للبقاء، بل هي في الواقع تستطيع صنع مصدره من الأرض ومصدره من السماء، ولا تقبل أنها إن تحررت تحمل نواة لأرض لجديد تواجدها بما تسميه قلبا لها يمكن أن تجدد به عالم هيكلها، بينما لا تشاركها المملكة الجمادية والنباتية والحيوانية التي لا تملك ما تملك البشرية، هذا النظر بل وترى سعادتها في تقديم ذواتها على مذبح التضحية للقيام في الإنسان الأزلي من عوالم الحياة - كما تحرص على مواصلة خدمتها له بالتكاثر في جديدها المتفاني للخدمة من قديمها الراحل معه.

إن أولى الوحدات الكلية الأصيلة التي تجمع مختلف الحيوات لعوالم الأرض ومن البشر عليها هي الأرض نفسها. فهي الأمومة الحية الواهبة للحياة والمهيئة لها على صورة مباشرة بتكوينها منها لذوات الأحياء عليها. فهي الكائن الذاتي الحي الواحد الذي انشقت عنه هذه الذوات الحية والذي يستعيد منها إلى مصدرها فيه ما بقي لها من طبيعته. فإذا لم تكن هي حية في ذاتها ما صلحت لاستقبال فيض الحياة من السماوات ومن الإطلاق ومن الغيب ومن الشمس والكواكب ومنها لها. وما صلحت لإفاضة الحياة منها على ما انشق عنها من الكائنات. ولما استهلكت وهضمت فضلات مظاهر الحياة الجزئية في حياتها الكلية عند انتهاء عملها وارتفاع ما تطور بها إلى طاقة حرة منطلقة.

إن أمومة الكواكب لأقمارها، وإن أمومة الشمس بدورها للأرض وشقيقاتها من الأجرام السماوية من الكواكب السيارة، وأمومة الجامع الفلكي للشموس من السديم الواحد، وكذلك الجامع الفلكي للسدم والجامع له على تتابع لا يُدرك مداه في الوجود المادي الواسع المتسع، أصبح أمرا مدركا للوعي البشري بصورة يقينية، وإن أدركه الإنسان على صورة تقديرية مختلفة الدرجات في مختلف عصوره. وقد أصبح باتجاه النظر إلى الأصغر فالأصغر من الموجودات ممكنا للعقل الإنساني أن يرى المجهول في

الكبير والأكبر ماثلا بصورته في الصغير والأصغر في ظل قانون طبيعي قائم فاعل، أدركه الإنسان على وجه اليقين عنده. وبذلك أمكن إدراك مجهول السعة بالاتجاه إلى الضآلة، فتكشفت للإنسان وحدة الأسرة الشمسية كمثال أكبر لوحدة الأرض والقمر أو الكواكب وأقمارها، كما عرف قديم انقسام وحدتها إلى مفرداتها، وانقسام أصغر أجرامها الدائرة في أفلاك مراكزها حتى إلى إدراك الذرة المركبة والمبسطة وأطوارها بدءا من ذرة بمركزها وتابعه وانقسامات مركزها إلى مركز وتوابع، أو توحيد بينها منتهي لمركز وتوابعه إلى ما يقدر ولا يدرك أو يحصر.

وفي هذا تتلاقى معارف الأديان العقائدية عن شرح الواقع الثابت المتجدد بعباراتها المحكمة والمتشابهة مع معارف العلم اليقينية عن الطبيعة. وهذا فيه ما يشبه قيام وحركة مفردات البشرية من وإلى كلياتها، كذرة مركبة، أو مجموعة شمسية، أو مجاميع متداخلة في سديم واحد أو جماعات من السدم في أصل لها. فالفرد في المجتمع البشري أصل لأمة حكما، ويعمل بالزمن ليكونها فعلا. والأمة الصادرة عنه في البشرية أصل لإنسان يتجمع ليتواجد في المجتمع الإنساني، في عوالمه الروحية حكما، يعمل ليكون أحدية إنسان واقعا وفعلا، مع الصبر وعبر الزمان والمكان. وعلى هذا قامت معارف وتوجيهات الأديان يجمعها دين العلم في هذا الزمان، وهو يحاول الكشف عن هذه الحقيقة بأساليبه، وأنه ليوشك أن يقدمها مقبولة سائغة بما أصبح بين يديه من مقدمات لها.

هذا عن تجمعات الإنسان بمعنوياته. أما عن تطور ذاته بمعالمه بين عوالمه فهو جديد لقديم لبيت سكينته وهو إلى عالم فوجود لمعناه عند مفرداته، من قيامه بمعناه في قيامهم ومعانيهم، بين فرق وجمع من فرد في بدئه وإلى فرد في غايته.

إن مفردات الجنس البشري من حيث ذواتها بما يقوم بها من طاقات الحياة المتداخلة إلى الطاقات المطلقة، إنما هي في حقيقة أمرها نهايات لانقسامات عن الأرض تجاوزت عهد الانقسام إلى طور التجمع بأوادمها، فهي بدايات في الوقت نفسه لعوالم أكبر على مثال من عالم نشأتها وأمومتها.

فإذا ما تجمعت مفرداتها، وتداخلت طاقاتها، وتوحدت غاياتها، كونت بداية لعالم كبير على مثال من منظور عالمها. فخلق السموات والأرض هو التطور الأكبر لخلق الإنسان من عالمي الناس من البشرية.

فإنه إذا ما التأمت وانتظمت هذه المفردات من الإنس وقديمها من الكواكب أو من الإنس وقرنائهم من الجن بمعنوياتها المتنافرة في الأصل الخالق، عن طريق الاختيار والمحبة، على مثال من انتظامها الحتمي بضروراتها في تناسق ذواتها في مجتمعاتها في ركب الحياة القهري، لتكشف لها أمر وحدتها

وهي في عالم نشأتها هذا من عالم إنشائها السابق عليه. ولتكشف لها بتوحد معانيها في الحاضر مع السبق واللحاق في عوالم مفرداتها ما يمكن لمفرداتها من بناء عالم أكبر لمستقبلها في اتجاهين من تجديد المكان، وامتداد الزمان، وتطوير الطبيعة، ورقي المعنى لا نهاية لهما. وهذه هي الحياة بفلقها ورتقها. فالبشرية الأرضية تكوين وسط في الإنسان بين قديمه وقابله، وبين عاليه وسافله.

إن الكائن البشري الواحد منفصل متصل بالبشرية والكون. كما أن الكون في وحدته والبشرية في وحدتها لهما كيان منفصل متصل مع كلياته بعيدا عن مفرداتها.. متصل بكليته مع مفرداته من كلياته بأحديته معها، منفصل بقوانينه عن مفرداتها بمباشر صلاته في أحدية مع مفرداته. إنهما يقومان ويحييان على نظام من الاستهلاك الجزئي والإنشاء الجزئي على ثبات لهما في كليهما، وذلك على نظام مقابل لاستهلاك الذات البشرية لخلاياها وإنشائها. فما ظهر الوجود في صمدانيته ولا مفرداته من العالم بتعبير عنه من مفرداته بقدر ما عبرت عن ذلك الذات البشرية في وجودها الصمداني النوع الموقوت الفردية. وهذا ما عناه الحكماء يوم قالوا (وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر)[1]. فالكائن البشري عالم كبير حكما، ولو ترنم مع القانون الحتمي الذي لا يخطئ لروح الحياة اللانهائي لأصبح ما هو في قيام حكمي متواجد في قيام فعلي. وهذا ما يقيمه الإنسان لما هو دونه من موجودات الحياة وهو يساعد بفعله النواة لتصبح شجرة. فالنواة شجرة حكما وأعطيت من روح الحياة القدرة على خلق نفسها بنفسها. {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[2] وأعطاها بالإنسان هديها المهيئ لها سبيل الانتفاع بما فيها من قدرة التخلق. وكذلك الكائن البشري قد أودع فيه قدرة التواجد الخلقي المتتابع وأعطى هديه لذلك برسالات الروح الأب، والأم من أزلي الجنس لينتفع بما فيه محمولا إليه مع كلمات الله بالأخوة ممن صح لهم وصف الأبناء للإنسان من الحكماء والنبيين والشهداء والصديقين، كتبهم بأيمانهم عنهم، وأناجيلهم بصدورهم عن أزليهم. وهذا ما عناه الحديث عن حقيقة محمد يوم قال للناس واضعا كلامه في فيه ناطقا بلسانه (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[3] . ويوم قال الإنسان الأزلي عن المحدث منه (...إذا أحببته كنته)[4].

إن غريزة الحرص على الحياة، وشهوة الظهور بها عند الفرد والجماعة على تقابل لها من الجنس والكون هي سر الوجود الأزلي والبقاء الأبدي الذي يحمله الجنس والفرد في طياته، ويحمله الكون بدوام تجديد مفرداته لحساب الجنس، ويجعل من الاستهلاك للظاهر والتجديد له استهلاكا جزئيا وتجديدا جزئيا، يجعل منه لمجالات التجديد الغلبة على مجالات الاستهلاك فيه كما في الفرد النامي. وبذلك كان الوجود ناميا في مظهره وعوالم ظهوره، ثمرة للإرادة الصادرة عنه بالظهور والبقاء. وبذلك كان الوجود

قدسي في ذاته، حي قيوم بالحياة على مفرداته. إذا ولد بحقيقته لا يفنى وليده. وإذا ولد بماديته استهلك وأفنى قديمه جديده، أو أفنى جديده قديمه، في صراع سرمدي على البقاء.

إذا أدركنا سلامة ذلك، أدركنا في الوقت نفسه مصدر تدريكه، من مقابلة مفردات الجنس للمفردات الكلية له بما لكائنات الكون في الوجود المطلق من حركة. وعلمنا أن في انتظام تجمع وحدات الجنس وجماعاته على ما نرى وفي صراعها ما يقابل بين كليات الكون من عوالمه، فاهتدينا بذلك إلى أن التجمع الاختياري، والصراع الاختياري، منتهي إلى تجمعات في وحدات فطرية غريزية اضطرارية، لها هي في أحدياتها الحرية والقدرة على صورة الإحاطة، في معراج إلى الكمال النوعي والقدرة به، اتجاها إلى الترنم مع القانون الأزلي الذي لا يخطئ ولا يهزم للإطلاق المنشود، والمتحقق الارتباط به أزلا وأبدا من التواجد بين يدي رحمته. وكان في انتظام هذا التجمع، وفي انتظام الصراع على الكمال فيه سر مواصلة الحياة والنمو بها في الوجود وملء فراغه بالعوالم الجديدة للحياة الممتدة من قديمها الأزلي في تواجد أبدي.

فالإنسان البشري تقترن معاني الحياة فيه مع حريته. ويقترن العدم له مع فقدانها. أما الكون المملوك له فتقترن معاني الحياة فيه مع فقدان الحرية، ويقترن العدم له مع قيامها، بفقدان المتحكم فيه لسلطانه عليه. فمقياس الحياة للإنسان في مجتمعاته هو قسطه من الحرية، ومقياس العدم له هو فقدانه للقسط الضروري لقيام الحياة بها.

والفرد من الإنسان هو معنويات الجهاز الفيزيقي المملوك له وليس هو الجهاز نفسه، والكون بالنسبة له هو هذا الجهاز الفيزيقي نفسه المملوك لإنسان الوعي الكامل له، وليس هو الوعي العارض المسيطر عليه وإن ظهر به.

فإذا تجمعت معنويات الأجهزة من مفردات الناس على مراد واحد، فتوحدت هذه المعنويات في أمر معنوي واحد، ظهر هذا الكائن المعنوي الواحد على جميع مفرداته من الأجهزة بمعنوياته وإمكانياتها جهازا واحدا له. وبذلك تكونت الجماعة الواحدة، أو الأمة الواحدة، أو القومية الواحدة إلى مرجو ومأمول البشرية الواحدة في الإنسانية اللانهائية.

بذلك كانت حياة الكائن المعنوي الجامع إنما هي في فقدان المفردات لمعنوياتها إلى معنويته، وحرياتها إلى قيام حريته، وقدراتها إلى عزيز قدرته، وكانت حياة المفردات في قيامها بمعنوية الكليات جارحة لها. وكانت حرياتها في تمثيلها لإرادتها ارادة لها، وحياتها في فقدان ذاتها قياما بها ذاتا لها. وبذلك كان العدم الفردي هو عين الحياة الكلية للمفردات، وكانت صحة الحياة الكلية في إدراك مفرداتها لقيامهم

بمرادها ومعنوياتها حول فرد مسحها الذي كان معنى الفرد فيه بعدمه عنه هو أمته بجماعها. وكانت الأمة السليمة هي فردها الجامع لها.

وبذلك يدخل الفرد في دائرة الإحاطة ويبقى بها ويمثلها عند نفسه من جماعتها. وبذلك تشهد قدسية الوجود في شهود قدسيته، بوصف جمعه، ووحدانية الوجود، في قيام وحدانيته أمة واحدة. وفي إدراك هذا والقيام به قيامة الحق بقيامته. وهذا ما جاءت لتقدمه معارف الأديان النقية مع مؤسسيها فتفرق الناس بها عنها وعن مصابيحها لهم.

إذا كانت هناك كليات آدمية في مجال لا نهائية الوجود الإنساني، تجدد نفسها بدءا من وحدة جزئية لها ما زالت في عالم النشأة والبدء من بشرية هذه الأرض، وتواصل نمو حيويتها بإنهاء الحياة عن أبعاضها العاطلة فيها لتجديد أبعاض أصلح تجديدا جزئيا لمفردات ذاتها في وحدتها بخلق الجزئيات الناشئة الفتية المرجوة لها عن طريق التخلص من مفرداتها الهرمة المثقلة بها بالرد إلى أرض النشأة، وعرفنا أن هذه الأرض هي عالم البدء والإنشاء لهذه العوالم الكلية دائما، كانت مفردات الناس من البشرية عليها في ظل هذا القانون، في طريقهم إلى استهلاك لقديمهم بجديدهم من نشأة، وفي هذا خيرهم ما تعجلوه ولم يتوقفوا مع قديم رث بال منهار. فإن حرصوا على قديمهم كان مدخلهم على هذا الظاهر من حياة الجنس في ظل هذا القانون إنما هو جيئة بحيوية تسير إلى ما هو دونها، لا بحيوية تسير إلى ما فوقها استكمالا لقوة مدركة مرجوة.

وليس معنى هذا أن هذا المدخل حاكم للاتجاه في هذه الحياة حكما جبريا وهي التي بنيت على كامل الحرية الفردية والاختيار الفردي. فقد يتقهقر القوي المدخل إليها بقصد استكمال نفسه إلى الضعف بمؤثرات سوء اختياره لقدوته، كما قد يفارق الضعيف ضعفه بمؤثرات إحاطته في حسن اختياره لمن يكون عليه التجمع، وفيه الاقتداء، وبه الأُسوة. فسلامة الدين في الاقتداء والتأسي بالمثل العليا.

إذا عدنا إلى ما بدأنا به من تساؤل البشرية عن زمان ومكان وصور نشأتها، نجد أننا بهذه المقدمة قد دخلنا إلى الموضوع من الباب الخلفي له. والواقع أن هذا هو المدخل العقائدي لا بل هو المدخل الممكن الإجابة به إجابة مباشرة على التساؤل البشري في عوالمه. كان هذا هو المدخل الذي دخلت منه جميع الديانات على موضوع النشأة الانسانية. إذ أجلست الانسان في كماله وبكرسي سلطانه على عرش الحياة الأزلية كأحدية حية من أحديات الوجود المطلق، وعالم من عوالمه لا بدء ولا عد ولا حد لها ولا توقف لها عن تواجد، وعرفت عنه بمعنى الحق الأول، ووعدته للاجتماع عليه الحق الآخر، وجعلت الارتباط بمعناه والقيام بمعناه في تصوير يستوعبه العقل أساس ما قدمت من علم وعقائد، ليراه المؤمن في مرآة نفسه من قلبه في عالم ذاته، فتتفتح لنفسه أبواب المعرفة، وتتدفق على

عقله ميازيب الرجاء، فيحيا منه قلب القالب، أو يحيا منه فيه القلب الغير متخلق، في هيكل القلب المتخلق بغيبه من الحياة المطلقة، ويتكشف للعقل القلبي ما وراء حجاب الهيكل المظلم بعيون وآذان وأنفاس القلب الحي المضفي بالحياة يستمدها من العقل على هيكل الوجود للذات كقلب متخلق ونواة لكون وعالم جديد، فيتحرر لطيف العقل من الرباط الطاغي عليه بمادة بيته، طائرا حرا في ملكوت الوجود الكبير، في الدورة الدموية البيضاء أو الحمراء للوجود، بما لا يلبث أن يأوي إلى عرشه من هيكله طلبا لمعروفه، طائفا ببيت قدسه لملكوت الأكبر بين جوانحه حول سراج القلب في مشكاة الصدر.

أما الرسالة الفطرية الجامعة للمعرفة مع محمدها من العقل الكلي، المتواجد على الأرض بوجوهه المتكاثرة، في دثار من صور الناس في البشرية، فقد دخلت على المعرفة من الباب الأمامي، وقد شرفت العقل، وعذرت النفس، وقربت الروح، وأقامت الهيكل، وجددت اللباس، وأحضرت الغيب، وغيبت الشهادة، وعادلت الظاهر بالباطن، وعرفت الباطن بالظاهر، وقدمت الكل في كنه الجزء، وكبرت الجزء إلى رحابة الكل، وفتحت أبواب الحياة للفقراء للحياة.

كيف يدرك الكائن الغير موجود بالحياة معاني الوجود الحي؟ بل كيف يدرك الكائن الموقوت الكائن الأزلي؟ كيف يدرك الكائن المحدود الكائن المطلق؟ كيف يدرك الجهل كله العلم كله؟ كيف يدرك الظلام النور وهما لا يجتمعان؟ كيف يدرك الجسد الروح وهما لا يتوحدان؟

إن عدم قدرة الجسد على إدراك الروح لا يحط من قدر الجسد، ولا يرفع من قدرة الروح. وأكثر من هذا فإن هشم الجسد أو تعطيل وظيفته كجسد لا ترتضيه الروح وإن هيأ لها أسباب الانطلاق. فالجسد كينونة لها طريقها في التطور والرقي المنتظر على مثال من قديم لها وهي التي انتهى بها وجودها إلى هذه الصورة الجسدية بدءا من شبه العدم الذاتي في نشأتها هذه من قديمها الحالي من أصلها البشري، فهي الآن بدورها مرة أخري في شبه العدم الذي كان لها في نشأتها من حاضرها تجديدا لقديم لها بعلقة وبويضة ظهورا من مجهول عالم إرادتها. فالروح تستريح لسلامة الجسد فعملها وظهورها به في هذا العالم من مجتمع العوالم القائم لرب العالمين من الناس.

ظاهر أننا نعني بهذا الكشف عن فعل القانون الصادر من الإرادة اللانهائية {كما بدأنا أول خلق نعيده}[٥]، وهو ما يقوم في الطور الواحد نفاذا لقانونه الدائب {خلقكم أطوارا}[٦] وليس لنا في هذا ما نضيفه إلى أنفسنا.. إنما هو توجيه قانون هديه {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٧]، ومذكرة بيانه {فلينظر الإنسان مما خلق}[٨]. لقد بدأ الإنسان الحياة على ظهر هذا الكوكب في عالم غيبها عليه من عالم إرادتها به علقة تخلقت في صلب أبيه، خلقتها إرادته الفاعلة الجبارة في جهاز عالم ذاته، خلقتها من

طعامه المستهلك في نار حضرته من عوالم الحياة النباتية والحيوانية، مما ولدت هذه الحياة الأرضية بنظمها الخالدة وقوانينها السرمدية في وجودها الأبدي، وليدة والدها الأزلي المرئي بالوجود المعروف بالإطلاق. إن هذه العلقة تحمل في ذاتها سر تكوين مصنع إنشائها نواة لجديد منه، كما تحمل في معنوياتها سر تجديد معنوياته بها جديدا له. فإذا هبطت من عالمها العلوي الغيبي عليها إلى عالم الأم غير المدرك لها، ولقيت فيه أرضها في ظلام رحمه فدخلتها فأخصبتها وأحيتها أرضا طاهرة حية قام عالم الأم على تطويرها لتكون أرضا جديدة هي القلب، وعالما جديدا هو الذات، حتى إذا ما تواجد وليد الوالدين أو الحقين منفصلا عنهما بعد انشقاقه المتتابع عنهما ومواصلته الانقسام والاجتماع في ذاته، بدأ العالم الثالث للعالمين قيامه في رعايتهما، أو الحقيقة الثالثة في رعاية حقيها، وفي ارتباط هذا الثالوث من العوالم في وحدة مترنمة لقانون الحياة، متجددة الظهور بجديد لها أبدا، مواصلة التكنز والتقادم في أزل متخلق لمعانيها سرمدا. تعارف جديدها لقديمها ربا له، وتجدد قديمها من جديده عبدا له، فتعادل القديم مع الجديد في أوصافه، وتعادل الجديد مع القديم في اتصافه. تعارف الانسان إلى الانسان، وآمن الإنسان بالإنسان عبدا وربا، ومخلوقا وخالقا، وحادثا وقديما، ومدركا ومجهولا، وقائما وغيبا، فقام الحق وزهق الباطل. وهذا أمر لا يدرك إلا للعقول القارئة لكتاب الوجود في نفسها، العاملة بقانون الحياة السرمدية الذي لا يتعطل، والمدركة للهدي الأزلي، (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول...)[٩] و{ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير...}[١٠]، فتقوم البشرى الموعودة للكافة من الإرادة الأزلية {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد...}[١١] أو يقوم الإنذار الأزلي {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا...}[١٢] وتقوم الحياة نفاذا للقانون على هذا الوعي {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[١٣]، {إما العذاب وإما الساعة}[١٤]. (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[١٥].

فإذا كانت العلقة من الأب قد دفنت نفسها في أرض البويضة من الأم فنمت البويضة إلى أرض صورة قلب، وانطلقت العلقة فنسجت حول هذه الأرض عالما كاملا من الذات، واستوت على عرشه من الرأس، فإن هذه الذات بالنسبة لمستقبل لها لا تعادل إلا ما كانت العلقة بالنسبة لما تواجد بها.

فإذا قال وعي الجسد بضرورة الرب المعبود فهو روحه. وإذا قال بالإله المعروف فهو معنى الحياة فيه. وإذا آمن بالرسول فهو كبير نفسه وهو العقل الكلي لعقول مفردات الأعضاء فيه. وإذا خالل الشيطان فهو حرصه على مادته وجسمه. وإذا وسوس له وسواس فهو غريزة شهواته لحساب ماديته. وإذا عرف ربه فقد دخل قبلته في قلبه فحرر عقل، وحكم نفسه، وطور هيكله.

إن النعمة في تحرر العقل من سجن النفس. وفي تحرر النفس من سجن الذات. كما أن النقمة في احتباس العقل في دائرة النفس، واحتباس النفس في دائرة الحس الهيكلي.

فالإنسانية السوداء من إنتاج الجلباب الترابي، والإنسانية الحمراء من إنتاج النفس الحرارية، والإنسانية البيضاء من إنتاج الوعي البشري المنير.

أما الجلباب الترابي فهو تطور الحياة المعدنية والنباتية، وكذلك النفس الحيوانية هي تطور الطاقة الحرارية المكتسبة من الشمس المرتدة من الأرض في جلباب من التراب. وهي سير الطاقة والحركة الكامنة في الحياة الأرضية على اختلاف مستوياتها، وهي تطور الحياة الأرضية في زمنها من العمر الترابي الذي يأخذ شكل الجلباب الترابي الذي تطورت فيه، أو الجلابيب المتعاقبة التي تطورت فيها. والإنسانية الحمراء يقف تطورها عند هذه الطبيعة البشرية، تجدد جلابيبها الترابية فيها على تواصل، وتجمعها فيها على تفاضل، وتتطور في ذاتها إلى رقي لا نهائي يتسع ويرتقي باتساع سيادتها المرضية عندها على مفردات من الجنس الترابي الممكن منها بكلماته، فهي قيام إنساني حقي على أساس من الطاقة والأعلى منها يدرك التفاضل وينتظم على أساس من الإيمان به.

أما إنسانية الوعي البشري فهي تطور من البشرية إلى المقام المحمود لها شوقا إلى مصدرها من روح الحياة للوجود، بتناسي الذات والغاية الدنيا إلى ما وراء وحدانية الكل أي إلى المحبة الخلاقة.

ومن وحدة الإنسانية بألوانها تتواجد إنسانية الحقيقة في حضرات هي الملأ الأعلى وهو عالم الحقيقة المدرك لوحدته، كل واحد من مفرداته علم الوجود في ذاته وملأ صفاته. وهؤلاء أعلام لا تطيق الأرض وطأتهم، ولا يتواجد على الأرض أو على الكواكب أو عوالم الروح إلا مجال لهم في دورة منتظمة من أوادم بدايات للجنس في مختلف مستوياته، بالتطور في ثياب ألوانهم من طبائعهم. ولكل وقت ولكل جمع آدمه بمجال له منهم في دوام منتظم مترنم مع القانون السرمدي.

إن أوادم الجنس هم الأبواب الأمامية للدخول على حقيقة الانسان أو حقائقه المتعاقبة في معراجها. ولا يخلو زمان أو بشرية من تواجدهم ولكن دورة الظهور لأحدهم هي ظاهرة كونية للأكوان، وظاهرة روحية للأرواح في آن معا، قَلَّ أن يجود الزمان بظهورها لا شحا منه، ولكن مزيدا من الرحمة بالجنس وعوالمه، وتوسعة في العطاء لمفرداته من روح الحياة اللانهائي.. إذ بظهور هذه الأوادم أعلاما على المعلوم المطلق تتحدد معاني الكفر والإيمان لمفردات الناس، ويصبغوا بطابع أنفسهم من حاضر فعلهم واختيارهم، ويتركوا لهذا السير حتى يغيروا ما بأنفسهم مع مظهر ينتظر في قابل حيواتهم المتكررة في جلابيب الأرض، وفي هذا خسران لهم ولحيوات سبقت في هذا الانتظار. ومن

يدري ما يكون من أمر حيوات تلحق في هذا الانتظار دون جدوى ما دام الأمر مرده كامل الاختيار!

إن في ظهور أعلام المعلوم من الأوادم إنما هو ساعات فاصلة في حياة الناس، وبقدر ما يكون هذا الظهور بقدر ما يكون الابتلاء، والمسئولية تنتج عن المخالفة والمباعدة. وبقدر ما يكون الخفاء منهم تكون النعمة وسعة العطاء للمؤمن والمستجيب مع الموجود العامل بينهم في القيام، كما يتخفف عبء المسئولية عن المباعد والمخالف بدرجة الخفاء ومستواه.

إن تواجد وظهور أعلام المعلوم من الأوادم للخاصة بالمحبة هو ما أسمته العصور القديمة للأديان بالقيامة. وظهورهم بالسلطان هو ما أسمته بالساعة. والارتباط بهم هو ما أسمته بالطريق. والدخول في معانيهم هو ما أسمته بالتحقيق. وفوات الحياة بهم والمباعدة لهم هو ما أسمته بالهلاك والنار.

لقد بنيت جميع تعاليم الأديان في العصور القديمة على تجمع مفردات الناس على المثل العليا بينهم، على مثال مما هو في الحيوات الجنسية الراقية لأهل الكواكب المتقدمة في الحضارة الذاتية والنوعية للجنس البشري عليها من الملأ من أهل السموات، محاكاة منهم للمثل الأعلى لحضرات الحقائق المجردة من عوالم المعاني.

وقد جاءت تعاليم الرسالة المحمدية مجددة للإسلام الفطري ميسرة لأمر الارتباط بالباب الأمامي للمدخل على الحقيقة، باقتراضه معروفا عند الطارق في وجه كل إنسان حتى يكشفه له القائم على كل نفس من الموجود المطلق وجها له، في حال صدق الطلب بتيسير من تدبير المطلق لأمر لقائه، وإن كان الرسول لم يترك أمته مجهلا عنه من نفسه وإن جهل عنه في الناس من ربه.

إن كل فرد من مفردات هذه البشرية قد دخلها وبيسراه كتاب يشمل جميع خطواته في هذه الحياة الظاهرية وما قبلها عن ارتداده من أحسن تقويم، هو لهذا الكتاب يمين. فإذا انتقل هذا الكتاب بجديد مرضي من عمله من معنى يساره لمعنى يمينه، فكان الكتاب يمينه قرأه وأدرك ما فيه، واتبع الحسنة السيئة فمحتها، وعاد للحياة الروحية نفورا بما قطع من أشواط التواجد، وبما ربح من معارج المعرفة بهذه الدورة من الحياة. أما إذا بقي بيساره كما دخل به وخرج منها وهو في وضعه فقد سقطت هذه الدورة من الحياة من حياته أو حيواته. وقد دخلها ميسرا لما خلق له وخرج بنواياه وما خلقت له.

فمحمد ذاك الذي نقل كتابه ليمينه فقال هاؤمُ اقرأوا كتابيه بعثا بالحق وقيامة به في حياة مقبلة في عالم الروح أو عالم الذات. وما بعث به محمد الرسول من الحق يبعث به كل مبعوث بالحق ممن طلبه وعمل

لقيام الحق به بتعبيد نفسه له وتسليم ذاته ليد قدرته مبسوطة في عباد له، على تتابع في تواجد في قادم أو قائم من حيواته.

ومحمد الرسول في بعثه ورسالته في قائم حياته بكتاب يمينه من قديمه مبعوثا به في جديده، ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق في الفرد للجماعة، ويبدأ بمعناه قيامة الجنس بالحق. فلم يبعث بنشاذ من الحق أو بمعدوم أو مفقود من رسالة فقد جدد بكتابه لأمته ما في الصحف الأولى أو الأمم الأولى لكل رسالة عنونت بدء العبودية لأمة من عباد في طريقهم للتواجد الذاتي من عوالم الروح، كما جدد ببعثه بالحق بدء العباد في طريقهم للتواجد على الأرض عوالم من عالم الروح هو لهم قائد ورب، ولأممهم حق وبدء، ولعوالمهم إمام وركب. فعنون ببعثه وحقه ربا لعالمين علما على المعلوم المطلق من الله في أنفسهم، دورة لآدم أوادم له، وبدءا لبدايات تقادم له، مخلِّصا وبشيرا، ومحققا ونذيرا، على سنن من سبق بجحد، وعلى سنن من لحاق وعد فكذب. وما كان شرفه في ربوبيته خلفها في قومه، ولكن كان شرفه في عبوديته حفظها واحتفظ بها لمعراج ذاته وأنانيته قدوة بها لسائر العوالم.

فالإسلام لله ورسوله - على ما جدده محمد بتعاليمه وهديه - يأخذ مسلكين يتميز أحدهما عن الآخر تمييزا تاما على ما كان من الأمر في الأمم والرسالات السابقة تماما.. أن يتعارف المسلم للرسول إسلاما لله من المؤمنين بكتابه إلى إمام له يتابعه من بعده على ما تابعه عليه في جزء حياتهما الأرضية المشترك، أو إماما أخرجه سابق عليه اللهم إلا إذا كان المؤمن قد أوصله الرسول أو الإمام إلى ما وصل إليه، وأخرجه للناس مشيرا إليه إماما لهم، وبذلك وجب على من عرفوه متابعة رسول الرسول في أمور دينهم.

فإن لم يكن المسلم للرسول قد شهده، ولم يعرف له في عصره من يتابعه ممن أخرج الرسول للناس، أو ممن أخرج من أخرج الرسول، واختفت من أمام ناظريه سنة التتابع للمثل الأعلى المرضي، ووجوهه المتتابعة بحكم المتابعة على هدي الكتاب وسنة صاحبه، وجب اتباع المسلك الثاني من حسن الظن بالمعبود في الكافة، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر مع أي من الناس حسب الاجتهاد والتقدير الشخصي، (عض ولو على جذع شجرة)[١٦]، مع التهيؤ لاستقبال الإمام المعتقد وجوده والمنتظر للقلب ظهوره في حال لقائه، إذا ما تهيأت الأسباب عنده لذلك، مع اعتقاد دوام قيامه في الناس ويقين تجدده بينهم بتجددهم بالموت والمولد بغير انقطاع.

أما المنتظر من أمر الله بمعنى الساعة فهذا له شأن آخر ولا يمت للهدي البشري بصلة. فهو الساعة في وصفها بالمرارة والقهر لجاحديها والمنكرين عليها من دوام قيامها بعباد رحمته، ومصابيح نوره، ووجوه الحق من قدسه. إنها ظهور عبد استقامة على الأمر منه وقيام في موازين العدل به لأهل المكابرة

وأهل الغفلة من خلقه، وقد جحدوا سلطان رحمته معهم لخلاصهم من قوانين عدله القاضية في استقامة تطبيقها بهلاكهم على دوام من قيام، وتواجد وظهور وعمل، وقد عطلها سلطان رحمته بقيام عباد حضرة الرحمن بينهم، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}[١٧]، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[١٨]، فظهور عبد العدل بسلطانه لا يكون إلا بعد تخلي القلب عن القالب في عباد الرحمن فيقومون على الناس بنفوس قوالبهم ولا يتعاملون معهم بحي قلوبهم، وهو ما يشفق منه عباد الرحمن أن يكون لما يعلمون من شدة وطأة الحق على الباطل إذا عولج من خارج النفس البشرية التي حاولوا خلاصها بهديهم ومثاليتهم لها وإفاضتهم بأنوارهم عليها رغم ارتداد هذه الأنوار إليهم لتغلف النفس في جلباب ظلامها وجحودها بقدس ربها فيها وبقبلته أمام ناظريها، فيصدر إلى قلوبهم الأمر بالتخلي وعدم الحيلولة بين الناس من خلقه وبين مظاهر عباده وهو ما يطلبه الناس من ربهم بجهلهم، ويشفق منه أهل العلم لخيرهم ورحمتهم.

وها هو الملأ الأعلى الذي جاءت منه رسالات الرحمة التي ختمها محمد لبقايا من قبله من أمم الرسل، وبدأها بعبوديته لسائر من بعده من العباد لأمة البشر أمة واحدة، يتلافى هذا الانحدار إلى الهاوية في انتظار هذا المطلب الخاطئ الذي جعله محترفو الأديان ستارا يحجبون به أهل الحق بين الناس عن الناس لحساب أنفسهم بمعناهم، فكانوا به جنود الباطل وأبالسة القيام مما كاد أن يذهب بسلام البشرية ويقضي على حياتها المادية بعد أن قضوا به محترفين شهوة الاسترزاق بالدين على حياة الجنس الروحية والمعنوية.

ها هي الروحية تجدد من واقع الاتصال الروحي العلني المدرك لظاهر الإنسانية من عوالم غيبها رسالتها الأزلية، على رجاء دوام بها لدوام تجديد نصيب الحق بعباده بين ظهرانيها، قبلة صلاة لجماعاتها وبيوت طواف لبيوت الاعتمار بها.

ها هو ركب الأرواح المرشدة يزحف منتصرا يتقدمه الروح المرشد العظيم رسول الروح الأعظم وقبس النور لروح الحياة اللانهائي السيد (سلفربرش) الرفيق الأعلى لذوات الرسل من البشرية الذي عمل معهم جميعا، وهو مثال الإنسان الكامل للبشرية من جمعها المتواجد في الملأ الأعلى من الآباء من أوادمها من رفاقه، ظهورا لآدم أوادم على أرض آدم على ما سبق أن بلغ الرسول (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم)[١٩] عودا من السماء ذات الرجع وإنذار قيام لذي قرنيها من الأرض ذات الصدع.

ننتهي بذلك كله إلى أن الحق والمعرفة يتحد في جميع الأديان عند مؤسسيها ومجدديها من قبل محمد ومن بعده، وأن الدين وحدة من حلقات متصلة بكتبه وأزمانه، وأنه لا يستقيم عند أمة من أممه على

أساس من كتاب لها إلا في ربط ما في الأمم الأخرى، وما في الكتب الأخرى لتكشف ما وراء الألفاظ في كل تبليغ. وقد اختصت كل رسالة بتفصيل عن زاوية من زوايا الحقيقة مع إجمال عن الأخرى أو مجرد إشارة إليها.

أما الطريق أو السلوك إلى قيام الحقائق في النفس وإدراكها بالذات، وهو ما عرف عند أهل الأديان من أهل المعرفة والصدق والإيمان باليقين، فقد رسمت له في جميع الأديان طريقان فطريان.. المجاهدة الفردية المنفردة استقامة مع نبع الذات وراء مدرك العقل دون مرشد خاص، أو القيام في ذلك مع مرشد خاص تقوم العلاقة معه على أساس الإعجاب به والرضاء عنه والحب له، والمطالبة للنفس باحتذائه في العمل والخلق، والرضاء بمواصلة الحياة معه في دنيا التواجد وأخراه، طلبا للمعرفة عن الله في النفس.

أما سالكو الطريق ابتداءً أو انتهاءً بالارتباط بقدوة مرتضاة فمسلمون كتابيون انتفعوا بالرسول والكتاب وقد بدأوا الحياة ويواصلونها في الحياة الروحية مع إمامهم مظاهرين له ومظاهرين منه لاستكمال ما فاتهم. فالطريق هي التسامي بالمعرفة وكشف الغطاء من النفس المظلمة عما يكمن فيها من نار الحياة ونورها في جلابيب الظلام والتراب لها. والطارق إلى هذه الغاية هو العقل الممتطى إلى مراده للنفس الحيوانية، والمطروق هو الذات الكونية بتطويرها إلى الوجود الأكبر لها بالحياة المتكيفة عن تطوير النفس المستجيبة لمراد العقل، المجددة لمادة الذات خلف من سلك هذه المسالك وعرج هذه المعارج، من رائد صالح بالمؤاخاة والمحبة والتفاني إلى الغاية بمصاحبة روحية معنوية دائمة له في كل الأوقات والأعمال بأوصافها من الطاعة والغفلة.

أما سالكو الطريق خبط عشواء ممن يجاهدون أنفسهم فرادى بتوجيه عقولهم فمسلمون فطريون، في حاجة في حياتهم الروحية لإمام ونبع حياة قد يصادفهم في الحياة الروحية إن أحسنوا الاختيار له، وصدقوا في حياتهم الأرضية الطلب للرباط به والشوق إليه من مؤسسي الأديان أو مجدديها، فيبدأون الحياة معه فيها مظاهرا لهم ومظاهرين له، وهو ينتهي في دورة لهم إلى إلحاقهم بإمام لهم من الأرض، وهو ما فاتهم زمن التواجد عليها.

وسالكو الطريق الأول قد لا يحتاجون إلى موالد لذواتهم كثيرة في الحياة الأرضية في حال صدقهم، وقد يكفيهم أن يعودوا أرواحا مهيمنة بعد إفاقتهم من سكرة الموت حتى يتهيأ لهم أن يعودوا إليها بموالد هداة مبعوثين أو مع هداة صديقين لهم باختيارهم وبعد إعدادهم باجتياز لمجالات للإرشاد والهدي. أما سالكو الطريق الثاني فالعودة بالمولد في هذه الأرض أجدى عليهم، ولهم إليها حاجة، ومنهم إليها حنين حتى يتخذوا لهم قبلة إمامية يشهدونها في حياتهم الأبدية المتواصلة بعينها فيهم قوام

قيامهم معها يتوحدون، إلا إذا وصلوا لهذا الوعي مع من ألحقوا به في حياتهم الروحية من إمام في البشرية.

ما دعا داع صادق إلى الحق إلا دعا الناس إلى الحق في أنفسهم على ما عرفه في نفسه، مؤمنا بالحق قائما فيمن دعاهم إليه في أنفسهم. وما كان داع لمن دعا إلا مثلا مضروبا يحتذيه موعودا لنفسه منه بما شهد ويشهد فيه. فهو أبوته أو معلمه أو ربوبية اختياره وجها لوجه في ربوبية وألوهية اضطرارية للموجود الأكبر الجامع لهما في القيام وفي روح الحياة اللانهائي المطلق، وذلك في ظل قيام وعمل قوانين الفطرة للحق الأزلي المنفرد من روح الحياة الأعظم اللانهائي.

إن علاقة الإطلاق بالموجودات ليس للموجودات فيها اختيار، ولا توصف الموجودات معه بالعباد، ولا يوصف هو معها بالسيادة، بل بالقانون الخالق والمتجلي بالخلق، فلا توصف العلاقة له مع الموجودات بالربوبية في الحقيقة. فالعبودية والربوبية لفظان للتعبير تعنيان معاني السيادة والمسودة أو القياد والانقياد، وكلاهما وصف في عباد الله مجتمع لكل عبد لله في نفسه، يقوم عليه به قائم منه، ويقوم هو به على من يقام عليه منه.

فكلما اتصل العبد بعباد لله توحد معهم، وتجدد الاتصاف لأحدهما مع الآخر تبعا للاتجاه الداخلي أو الخارجي للناظر والمنظور في وحدتهما من المركز الموجه أو المحيط المتجه الموجَّه، أو من المحيط الشامل الموجِّه، أو تبعا للاتجاه الزمني من القبل والبعد عندهما في اتصاف الأب والابن، أو الخالق والمخلوق، أو في الوجهة إلى الإطلاق استقبالا منه في وحدتهما، أو انطلاقا إليه بشتاتهما. والإطلاق يحويهما ولا يتأثر بهما وإن تأثرا به في أمرهما وتطورهما.

فالبحث عن الحقيقة في الواقع يقتضي البحث عن المعلم، كما أن يقين الحقيقة في الوجود يقتضي يقين المعلم في القيام، وصدق الباحث في الغاية، وصفاؤه في الطلب يحدد نوع ومستوى المعلم المحتمل الاجتماع عليه وزمان الاجتماع به.

ليس للإطلاق بوصف الحقيقة صفة زمنية أو مكانية أو نوعية، ولكنه يتحدد بصفاته عند المعبد لنفسه، المنطلق حسب اتجاهه من القبل والبعد، أو إلى الخارج المحيط أو الداخل المحرك، أو الكيان المحكوم والكيان الحاكم بين نقطة المركز من القلب ودائرة الذات، أو نقطة الذات ودائرة الهوية.

إن العقل المفيق والقلب الحي في الذات المتوحدة بهما بمفردات الجوارح البشرية لهما يكوِّن أصدق تصوير لمثال الحقين المتوحدين وملحقاتهما في دائرة ثالثة لحق لهما، تمثل المطلق المحيط عندهما، فأحدهما

عقل للآخر أو قلب له وبالعكس حسب الأحوال وبلا تمايز، وقد يتكون الثالوث من الهيكل الواحد إذا شارك وحيا الجلد مع الضفيرة الشمسية للعقل والقلب.

وتظهر آثار هذه الوحدة في صورة من صورها في ارتباط شخصين من البشرية عن طريق الرباط النفسي في روابط التنويم المغناطيسي، وكيف يتغير بها حال النائم إلى ما في جوهر المنوم من إمكانيات الروح المتحد، باعتبار جسد النائم جارحة لمعاني الوحدة في الروح المتحد للمنوم، يوجهها العقل الظاهر من ذات جهاز المنوم، وهذا طبعا مع فارق إمكان تبادل الوصف والمقعد في المخاللة الروحية الكاملة في حال التعادل في دائرة الوتر بالثالث لهما، المسوى بينهما والجامع لثالوثه فيه بهم بسلطان غيبه.

فإذا قلنا إن البشرية وحدة، وأنها واقعة تحت سلطان روح جامع لها بتأثير أرواح جامعة فيها في هَرم منتظم، وأن هذه الروح وما فيها بدورها مع مثالها يقعون تحت تأثير روح أكبر في تهرم أكبر، وأن هذه أيضا مع مثالها يقعون تحت تأثير روح أكبر لهرم أكبر، وهكذا، استقام وعينا في روح الحياة اللانهائي، وأمكننا أن نقدر أن الروح الجامع للبشرية يمكن أن يكون من بين أبناء هذه الأرض، سواء في سابق أو لاحق أو قائم، وأن صاحب المعنى أو قائمه كان له سوابق ويكون له لواحق ظهور عليها، وبذلك يستقيم فهمنا عن آدمنا. فإذا قلنا إن الأكبر والأكبر منه كذلك كان لهم ظهور أقدم فأقدم، ويكون لهم دوام ظهور أبعد وأبعد، أدركنا أن هذه الكلمات من الأرواح هي بدايات الحياة المبعوثة على هذه الأرض بمن أسميناهم أوادم أو كلمات لله أو أرواح قدس الله أو عباد اصطفاء الله، وذهبنا في هذا إلى مجهول الزمن من الماضي والمستقبل، أي مجهول الخلق من الخالق، لأزلية الخلق بأزلية الخالق.. فأدركنا تعبير الرسول في هديه (قبل آدم مائة ألف آدم)[٢٠]، وأدركنا ما أراده الرسول بقوله (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[٢١] ومراد الكتاب إذ يصف الناس وهو يتوفاهم في منامهم، وأنه يتوفاهم إلى حال الوعي بالموت عنهم، فيبعثون بالحياة أحواضا لها بين موتى الناس، فأدركنا مقالة عيسى عليه السلام، وهو يقول لأحد حواريه (دع الموتى يدفنون موتاهم وابق مع الحياة)[٢٢] ،كما أدركنا قوله عليه السلام إذ يتوجه به إلى الأب الذي آب إلى غيوب لا تدرك له، مدركة عند أبيه وربه {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب}[٢٣].

فإذا حقق منا لنفسه محقق هدي رسول الله من (موتوا قبل أن تموتوا)[٢٤]، وهدي الكتاب وقد ضرب ابن مريم لأهله مثلا فإذا قوم محمد به لا يؤمنون وعنه يصدون، عرفنا أن تواجد كلمات متتابعة لله في الجنس البشري الذي هو دوام آدم أمر ميسر ومبشر بل وضروري، وأن آدم وهو وحدة الجنس البشري بلا بدء يدرك لنوعه في أراضي الوجود وعوالمه يتلقى دواما هذه الكلمات حيث يوجد

بأراضيه وعوالمه، وأن تواجد كلمة تامة بين مفردات الجنس إنما هو ظهور الروح الأب الجامع للبشرية في بيئة مفرداته في جلباب الجسد للمعنى المستكمل للحياة ودوامها كهيكل لظهور كلي الحضور من الروح والذات علما على الأقدس من الرفيق الأعلى من الإنسان عبدا ورسولا له، وأن هذا أمر فطري وقانون دائب ما دام الجنس في وصف آدم المخلوق من آدم الإنسان الخالق.. ينتقل حاضره في وعيه العام، وعقائده من الوعي الخاص لخواصه، إلى مرحلته التالية في سلم معراجه البشري، باعتقاد قدس الإنسان في روحه ونفسه وذاته، بتعميم وصف وصفات الكلمة على مفرداته، والعمل للبعث بها مشهودة بالمتابعة لها، موجودة في نشأتهم الفطرية الأرضية المتطورة، على اختلاف المستويات لها، وهو ما سوف يكون بعد مرحلة وسطى من العمل واليقظة في ظل انتشار حقائق الدين على وجهها الصحيح باستقامة الجميع على أمره، في السياسة والاجتماع والعلم والمنهج، باستجابة نداء السماء والرسالة الروحية الحديثة.

إن عالم الروح من البشرية الأرضية تقوم مثله العليا في كلمات الله من أبناء الجنس، وهي معاني الحضرات الربانية فيه، والبيوت التي يذكر فيها اسمه منه، ولكن لا يظهر أمرها على الأرض سافرا في تواجدها لعدم استكمالها لصفات الإنسان، للجلباب الأرضي لها، إلى معاني ذي القرنين الذي يتواجد منها يقوم على البشرية باسم الله الرحمن الرحيم، وهو ما تم دون سفور به لكلمة الله التامة في جلبابها محمد، ليحكم بما أنزل إليه، وتعرض عليه الأعمال في قيام دائم، أما قيام من قام باسم الرحمن الرحيم على عالم الجن كسليمان وأمته من صوره فقد كان فيه مثالية لمن قام بها في عالم الروح من الإنس كعيسى حيث ملكوته من النفوس النورانية، أما تجمع هذه الكلمات ينتظمها حضرة ربانية لعبد لله وحدتها الروح العظيم المعروف بروح القدس، ليقوم بها في وحدة كإنسان واحد أو حق واحد، فهذا لا يتواجد إلا في وحداته من الملأ الأعلى، وروح القدس بمجتمعه من كلمات الله فيه جوارح له، فينتظمه عالم إنساني من الحقائق السابحة في روح الحياة المطلق اللانهائي، وهؤلاء يجتمع لهم فيهم معاني الأحدية والواحدية، ومنهم تنبع صفة السيادة، وبهم تقوم صفة المسودة يفيضون الربوبية والرحمة والمعرفة على عباد لذوات معانيهم بالأبوة، فيظهرون باصطفائهم من الناس بين البشرية كمجالات لهم، كما يظهرون أيضا بمجالات لهم في عوالم الروح يعنونون لأنفسهم كمال الإنسان وحقائق الرحمة وحضرة الإحسان، وهي الحضرة المطلوبة والمنشودة لمطالعة صفات الجمال والجلال للمعروف المنزه والموجود المطلق المذكور في معارف الأديان باسم الله وكلمة الله ولفظ الله، ويعينون طالب المسودة بالعبودية على تحقيق طلبه.

في عالم البداية من هذه الأرض لأهلها تبدأ الحياة فيضا من أزلية الحياة ولانهائيتها المرة بعد المرة، بدءا بعد بدء، وبعثا لكل بدء خلال الجديد من كل بدء. وبدوام بدايات الحياة بمفردات الإنسان عليها تعرف أبدية الحياة لأهلها، وببعث مجالات القديم من خلال الجديد تعرف أزلية الحياة لها.

وعلى هذه الأرض يظهر رجال الملأ الأعلى بحقائق العبودية بين ظهرانيها مشهودين لعوالم الروح بمعاني الربوبية في مثالياتها، سماءً لسمواتهم، فيستقبل عالم الروح من أهل السماوات، ممن لم يستكملوا معانيهم لقيام الإنسان الكامل، البيت الأعلى الموضوع علما على الغيبي عليهم، المرفوع عن مستوياتهم، قبلة صلاة لهم، في حرم الوجود، لدائرة مركزها الأرض، اتجاها إلى مظهر الأكبر من الحقائق في منسك العبادة لله، والتطلع إلى وجهه الكريم، في طلعة له توحدت مع الأقدس.. وقامت في تقييدها به، علما على مطلقه من القيود، وغيبه في اللانهائي المعروف بالوجود، والمعبود الموصوف بالتنزيه.

ومن هذا يمكن لنا فهم قوله تعالى في كتاب الإحاطة {وفي السماء رزقكم وما توعدون}[٢٥] وارتباطه بقوله {إني جاعل في الأرض خليفة}[٢٦] فهما مستقيما، كما يمكن فهم وربط هدي الرسول (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة)[٢٧]، بقوله (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٢٨] وتعليمه (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)[٢٩]، وسفوره بالحق (من رآني فقد رآني حقا)[٣٠]، وهدي الكتاب إليه {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٣١] وتبشير الرسول بمكنة الصلة بالحق للكافة في تبشيره (خلفت الله عليكم)[٣٢] بيانا لتبليغ ربه {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان }[٣٣].

ونخرج من هذا ومن غيره مما لم نشر إليه ومما يمكن إدراكه للمتبصر أن محمدا عرّف عن العبودية والربوبية والألوهية والتنزيه والإطلاق تعريفا كاملا مستقيما. كما عرف عن الخلق والحق تعريفا شاملا مبينا.

وما عرَّف محمد إلا لما عرف من أمر قام به، وقام عليه، وأقامه منه، عن إدراك وحس ووعي كامل شامل. أدرك العبودية لنفسه كما أدركها لغيره قبله من أهلها قام معه خليلا حبيبا. وأقامها من نفسه مخاللا محبا. وأدرك الربوبية له عبئا عليه القيام به، كما أدركها فضلا عليه، على ربه يتوكل وإليه ينيب، فأقامها منه لمن عليه توكل وإليه أناب ممن دعاهم إليه وجها لربه فأجاب. وأدرك الألوهية له بمعراج العبودية فيه، كما أدركها عليه بوعي اللانهائي المنشود مطلوبا منه ليكون له مجاله فيه لا يحاط به مدركه فيه مجال له. وأدركها مفاضة منه على من يتابعه بحرصه على بقاء العبودية وصفا وفعلا له في مواصلة طلبه للانهائي التواجد في لانهائي الوجود.

محمد بين الناس.. ومحمد في الناس.. ومحمد فوق الناس.. ومحمد تحت الناس موضوع الدين، وموضوع السلوك وموضوع اليقين، وموضوع العلم. إن موضوع محمد هو موضوع الناس، وإن موضوع الناس هو موضوع محمد. وإن موضوع الله في الناس أو بين الناس أو على الناس أو قبل الناس أو بعد الناس إنما هو موضوع محمد الناس.. ومحمد الله.. ومحمد الخلق.. ومحمد الحق. إن قضية محمد هي قضية كل إنسان كيفما كان وأينما كان.

لقد عرَّف عبد الله ورسوله محمد عن ربه ودعا إليه. والرسالة الروحية التي يتطور إليها الاتصال الروحي في هذا العصر، بعثا لحلقات الاتصال النبوي واستكمالا لها، إنما هي رسالة واقع بقانون الفطرة، به يقوم التعريف لما أنكره الناس على الله في أمر أول العابدين ورسوله إليهم، وما أنكروه على الله في أنفسهم ولأنفسهم تبعا لذلك. يقوم بها عباد ملائكيون أرضيو النشأة تمت لهم كلمة الله كما يظهر فيها قيام لإنسان العبودية في محمد الحق فناءً في الرفيق الأعلى له، معرفا عن روح الحياة اللانهائي والروح العظيم في رسوله، كما عرف هو عنه ربا له، جامعا الناس عليه، باجتماعهم على وجه قيامه رسولا من أنفسهم، مجددا به لهم قدوة عامة وأسوة مرتضاة جحدوها في أقوامها، وحرفوها في أعلامها، وبيوت قبلة ظاهروها ما جددوها، وحقائق أنكروها كلما ظهرت، وما تابعوها حتى خبت، ورحمة فارقوها ما وردوها، ومعرفة أغفلوها ما اقتنصوها إلا من رحم، فضلا عن طريق مستقيم أخفوا معالمه، وسلام مقيم قوضوا قوائمه وفاءً بسابق وعده، ونفاذا لقديم عهده، فاجتمع لأمة محمد الهدى، وهدمه بعد أن نفذ {جمعه وقرآنه}[٣٤] ليظهره بأمته على الدين كله، بعد أن أظهر الرسول على الدين كله، وحفظه في خاصة العلماء من قومه، فإذا الإسلام يعود غريبا كما بدأ. وإذا الجاهلية الثانية أكثف ظلاما وأثقل عبئا من الجاهلية الأولى بما يصاحبها من جهل باسم المعرفة.. وظلم باسم العدالة.. وحرب باسم السلام.. وظلام باسم النور.

محمد عبد الله الذي لم تعمه رؤية الله في نفسه عن رؤية الله في الناس إذ به رآه، حيثما ولى فوجهه، ولم تعقه رؤية الناس فيه محيطا بهم عن رؤيته لنفسه في الناس محيطين به، ولم تعطله رحمة الله لذاته عن استرحام الله لوحدانيته مع الناس، ولم تكفه معرفته بربه في ذاته عن ضرورة معرفته له في صفاته مع الناس في ذواتهم ارتباطا وامتدادا لصفاته اليه ومنه، عمل لنفسه ولغيره، ولم ينتظر أو ينظر للجزاء أو الشكر. اتهم نفسه دائما ولم يتهم ربه أبدا. وابتلي فرضي ولم يجزع للبلاء. فقُبل وأُعْطِيَ فلم يقنع بالقبول ولم يغن بالعطاء. طلبهما من ربه للمؤمنين على ما حققهما له، طلبا لنفسه من ربه شفيعا متوسلا، فجعله الله أسوة لمن يُقبل، ومثالا لمن يعمل، وأظهره للناس ومكنه من الظهور في الناس

خلافة له فيه مرتضاه، ورسولا بالحق وبمعناه، وعبدا أكرمه وتولاه، وخالله في هيكل قدسه وبيت ذكره بمعناه تنزيها لغيب الله وكمالا لأحدية العبودية في عبوديته للرفيق الأعلى لعين معناه.

الرسالة الفطرية في دوام تتعدد. واتصال السماء بالأرض في دائم قائم يتجدد. وها هي الأرض تشهد منذ نيف وقرن من الزمان بداية لاتصال جديد واسع بين السماء والأرض، بين الغيب والشهادة للجنس، بعودة الأرواح الأمينة المرشدة على مسرح الحياة الأرضية، تمهيدا لبناء آدمية وإنسانية رشيدة من أبناء الأرض، نزاعة للسلام بعثا وقياما لعالم جديد عليها، على أنقاض عالمها المتداعي بمدنيته المادية الخرقاء، وقيامه البشري المتحلل في صرح ذاته المنهار انقضاء لزمان وأهله وقياما لزمان وأهله.

لقد دار الزمان ببشرية هذه الأرض دورة بدأت بظهور الحياة عليها فيما قبل التاريخ، وتمت باختباء آدم منها نفسا توفيت بموتها عنها إلى محييها وهاديها في التاريخ العقائدي، المعبر بالتصوير الإشاري المعنوي يوم تجددت بنوح وسفينته ذاتا جديدة ومظهرا لقديم لها من أرض نشأتها وعالم صفوتها وجنة اختبارها ونار اصطبارها، على سنن من سبق مجهول عليه، معلوم له به، في سلسلة من بدء لا يدرك مداه ولا يحصر تعدده.

بدأت بشرية هذه الأرض تواجدها بآدمها الثاني وأهل سفينته من نفسه الكبيرة، واستكملت كلماتها إلى إبراهيم به تمت لنوح الكلمات واستوفت الآيات. وقامت في إبراهيم كلمات اختباره حتى أصبح أمة، جعل في ذريته الكتاب والنبوة فكشف في معناه معنى السفينة بآدم سبقه. وعلى مثاله من نفسه وبيته وقومه وقع الاصطفاء على آل عمران الذين جعل عيسى عليه السلام لهم ختاما لآدمية اسحق روح القدس للكلمات المتلاحقة منه، كان في عيسى وأمه تمامها آيتين للجنس من بني إسرائيل كشعب متطور قام فيه عمل الكتاب والنبوة، ثم وقع الاصطفاء على محمد عليه الصلوات ليكون بيتا موضوعا لآدم وذريته، ونوح وأهل سفينته، وإبراهيم وكلماته، وعمران وأسرته، فجعل من محمد آدم جماع وسفين اجتماع، ومدين بيوت، وكتاب كتب على سنن من اصطفاء أبيه للبشرية رأسا لبيت النبوة، فيه انتهت صفة النبوة للكلمات، واتسعت بالعبودية الحقية تنشد من الكافة كمالا للجنس في ظاهره وباطنه، وبعثا للأنبياء بوصف العلماء لكمال عبوديتهم على مثال من أبوتهم.

فآدم الأنبياء المعروف باسم آدم إنما هو أصل بيت النبوة وليس هو من كان بدءا للخليقة كما هو معروف بالأثر، فهو كلمة وفرد اصطفيت من بيت آدم الخليقة الذي أبرز على صورة سبق من أوادم الحقيقة بلا بدء له يدرك في أزل الجنس من روح الحياة اللانهائي المطلق. فالآدمية لها قيامها وعملها في كل أرض دحتها وهيأتها بلا انتهاء لفعلها على مثال مما بدأت بلا بدء يدرك أو يفترض.

فالمحمدية هي أولى الآدميات الفطرية، المعلومة لنا في معلوم الجنس في معارفه التاريخية عن التبليغ السماوي. وهي الرسالة الحقية والفطرية الأولى في التاريخ البشري المحفوظ بلا مطعن عليه.

ولما كانت المحمدية قد قامت مظهرا لبعث الآدمية الأولى للنبوة تعبيرا عن آدمية الخلق، كما بنيت تعاليمها على أساس وحدة البشرية، وكان الإيمان بالرسول مبعوثا بالحق أساسها، وأساس المعرفة في وحدانية الباعث له والخالق للجميع والباعث لهم والقائم عليهم، كان الحق الظاهر به غير قابل للعدم وإن تدثر بجلباب قابل له، وهو ما اقتضى تغيير الجلباب كلما انتهت رسالته، فقام بين الناس في دوام بمتجدد ومتعدد من دثار، كما جدد تعاليمه في ثياب القرون من البشرية، فأصبح أمة على جانبي الحياة، وهو ما يقتضيه استقامة رسالة كتب لها الدوام لبشرية كتب لها دوام التجدد.

ها هو محمد كأمة من ذاته الآدمية يأتي بركبه الروحي مع أمة إنسان ربوبيته من إنسانية سبقه من الرفيق الأعلى عبادا لروح الحياة اللانهائي، مجددا في البشرية الأرضية أقدام أحديته مظاهرا بالرفيق الأعلى جماع الناس وروح الأجناس ليجدد تعاليمه بالسلام بين الناس بالإسلام لرب الناس طوعا وكرها، وليحكم بما أنزل الله لا يطيع آثما ولا كفورا مأمورا بأن يعدل بينهم.

فإذا كانت الرسالة الذاتية له قد حملت للناس البلاغ من البشرى والإنذار فها هي الرسالة الروحية الحقية رسالة ثانية له، تجديدا لرسالته الفطرية الأولى وتوابعها، وبيانا لها وبدءا لرسالته الحقية تنتظر ساعتها وقيامتها نفاذا لما في الرسالتين وقياما للأمرين.

لن يتحقق السلام بين الناس في الأرض إلا بالإسلام لروح الحياة، ولا يتحقق السلام للنفس إلا بالعلم عن الحياة وكشف مغاليق الحكمة في قيام الوجود وموضع الإنسان بين الموجودات، وعلاقته بها في حاضره وماضيه ومستقبله. {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[٣٥].

إن الإنسان حائر بين التوقيت والدوام وبين الاختيار والجبر، وهي عين حيرته بين الجسد والروح أو بين الجلباب ومستعيره، ولو أنه عرف أنه غير الجسد وانعكس إلى داخله ليراه لتكشفت له أموره، ولانتهت حيرته، ولقام اختياره وانقضى جبره، ولجدد جلباب توقيته لدائم أنانيته. وهو ما تقوم بمساعدته عليه الرسالة الروحية الحديثة، بتعميم الاتصال بين عالمي الروح للبشرية.

يبدأ ظهور الاتصال بين العالمين من روح مرشد باختيار وسيط من عالم البشرية ووسيط من عالم الروح يجمعهما ثالث لهما من ملأ أعلى، يجمعهما ويفرقهما في انتظام، ويؤدي بهما في عالمي البشرية رسالة حكمة، أو رسالة علاج، أو رسالة علم، أو رسالة ظواهر روحية، أو رسالة تعريف للأمور

في العالمين أو في أحدهما يظهره بمعناه في غيبة عنهم وسطاؤه في العالمين، ويظهره بيقظة به أبناؤه في العالمين.

ومن أهل الملأ الأعلى الذين يعملون في هذا الاتصال ويحملون رسائل توجيه للبشرية بعض الأنبياء والحكماء والقديسين المعروفين، ومنهم بعض شخصيات من العهود القديمة من المصلحين ممن لا يخفون شخصياتهم، ومنهم من يخفون شخصياتهم من قدامى الجنس أو من ذوي المكانة الروحية العالية من المغمورين في حياة الأمم ذات التاريخ، ومنهم من هو معروف للبشرية في تاريخها ولكنه لا يكشف عن شخصيته لحكمة تقتضيها رسالته.

ومن بين الشخصيات العاملة ممن يعترف بفضله وحكمته ورحابة إمكانياته في الغرب والشرق بعض صحابة الرسول من المغمورين في تاريخ أمته، يتابعهم بعض المعروفين في تاريخها ممن يظهرون بأسمائهم، ومنهم من اختاروا إخفاء أسمائهم لحكمة اقتضتها رسالتهم، ولرفع الإغراب عن الملبين لندائهم إذ هم يأتون بقديم شخصياتهم قبل الظهور معه مبعوثين في أمته لقديم الصلة بينهم وبينه قديما للجنس، وهم ممن جمعهم معنى جبريل إليه منه وقياما معه في صحبه وأمته، فما كان جبريل إلا عالم ما بين قديمه ومحدثه من عوالم الروح، به تعارف قديمه إلى قادمه خلال قائمه. وهم يختارون لأنفسهم من دنيا الحياة الروحية وسطاء لهم يحملون أسماء رمزية يظهرون بهم صورا تعرف بها هذه الأسماء، تعريفا عن معانيهم من قديم الجنس. ومن بين شخصيات العصر المحمدي من يظهرون بأسمائهم من آل البيت أو من الصحابة والتابعين وبعض المتصوفة في الغرب وفي الشرق في جماعة المتصلين أو على استقلال كأرواح عاملة.

وقد اشتهر من بينهم من عقد له لواء جمعهم روحا أمينا موجها، ونورا متدفقا مخاللا، كلمة ولدت صحابيا مغمورا متابعا، ودانيته روحا أمينا مخاللا وصفه الرسول بأخيه وبالرفيق، وأشار إليه مغمورا بين الناس بمن يصطفي الله لنفسه وللطريق. فرآه في عهده من يقوم على رسالته من بعده، فيدعو إليه ويجمع عليه، ويظهره بمعناه، ويقومه بمبناه آدم ومعناه، تصديقا لفعل مولاه، وما به تولاه ومنه والاه.. قلبان تآلفان لا فرق بينهما ولا تعدد لهما اتحدا روحان، وتآلفا قلبان، واجتمعا شبحان، وقاما واحدا للحق معنى وعنوانا.

إن الكائن البشري إذا ارتقى إلى معناه الإنساني سما فوق الصور إلى المصور، وفوق الأسماء إلى المعروف المسمى في روح الحياة اللانهائي فيفارق الافتقار والعجز والمسودة ويرتفع فوق معاني القيادة والسيادة. ولا يتمتع من الأرواح المرشدة بهذه المعاني في وصلتها بالأعلى ممن يتصفون بها إلا القليل النادر. ولا يرتبط من الذوات الرائدة ذات الأرواح الصافية بهذا الركب إلا القليل النادر أيضا.

ويسعد البشرية ويشرف الجمعية الإسلامية الروحية أن تتعرض لهدي وفيض الروح المرشد المتعارف لعالمي الجنس بصورة متسمية بلفظ (برش). فهو من النادر الكامل الوصلة بالكمال، والممكن من الاتصال والقيام به. إنه المعلم والمتعلم والعلم. إنه الإنسان الأب، والإنسان الابن، والإنسان الروح من اللانهائي، من دخل في عهده كان آمنا، ومن استقبل من فيضه كان عالما، ومن قامه ابنا ومعنى كان حقا قائما، فكان قبلة صلاة، وبيت طواف، وساحة حجيج. يظهره بمعناه في غيبة عنهم وسطاؤه. ويظهره بيقظة به أبناؤه.. عبد الله، وابن عبد الله، وأبو عبد الله روح من روح الله، وحوض للروح فياض، وقبس من نور الله يقوم ويمتد ويزداد.

هو ما تحت العبد عبدا له به صار العبد ربا، وهو ما فوق الرب ربا له به صار الرب عبدا - وهو عين من يتعارف إليه. به يعرف عارفه وحدانيته معه، فيعرف الكائن المتعارف معه كيف تكون المعرفة، والمتوحد معه كيف تكون الوحدانية مع الأدنى ومع الأعلى في المنفرد اللانهائي في قربه وبعده. به عرف العبد لنفسه وصف الإله والرب في وصف الشهادة والغيب.

عمل مع كل نبي على إبراز مكانته له في وضع مكانته إليه. وعمل مع الرسول معتمرا به في نفسه، وطائفا حوله في بيته، فاعتمر به الرسول، وطاف حوله الرسول فظهر للرسول في كل مكانة له في مكانته معه. فأخذ الرسول مواضعه في كل مكانة له في مكانته معه. فكان الأدنى وكان الأعلى. وكان المحيط وكان المركز. فكان الرسول معه ما كان هو مع الرسول. أخذ موضعه حيث ظهر له فرآه في موضعه من ظهر له، فعرف معاني الوصف والاتصاف لنفسه. وعرف معاني التعدد لمعناه في أصله وفرعه في وحدانية معناه في قبله وبعده.

توحد مع الرسول وتعدد معه، في كل موضع ظهره أو أظهره، أو ظهر له أو ظهر به، وفي كل موضع مكنه منه ليظهره أو يظهر به. وأخذ في تعديده معه أنانية من مواضعه منه، فكان معه رفيقا ومرافقا ومرتفقا.. رفيق قائمه، ورفيق قادمه، ورفيق قديمه.

كان إليه وحيا وكان منه وحيا. وكان عين الوحي في ذات ذاته. كان إليه كتابا وكان منه كتابا. وكان عين الكتاب في عين كتابه. كان له عنه حجابا، وكان عنه له حجابا، وكان عين الحجاب في عين معناه، من الحجاب عنه.

به تعدد عندهما العباد، وبهما انفرد عندهما المعبود، فكانا لعوالم الحق ولعوالم الخلق الأساس والنبراس للدين والدنيا والآخرة، بقيام البداية لمن يطلبها عبدا للانهاية لمن يطلبها له ربا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ بيت شعر للإمام علي كرم الله وجهه.

٢ سورة طه - ٥٠

٣ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان تكليفة لله.

٤ عبارة يستخدمها السيد رافع في معظم الأحيان مصاحبة للحديث القدسي: "مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ." صحيح: البخاري.

٥ سورة الأنبياء - ١٠٤

٦ سورة نوح - ١٤

٧ سورة الذاريات - ٢١

٨ سورة الطارق - ٥

٩ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا: "ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها فإن فضلَ شيءٌ فلأهلكَ، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتِك فإن فضَل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.

١٠ سورة الملك - ٤

١١ سورة ق - ٢٢

١٢ سورة الإسراء - ١٤

١٣ سورة الانفطار- ٥

١٤ سورة مريم - ٧٥

١٥ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

١٦ من حديث شريف ذات صلة: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة، وكذلك مسلم وابن ماجه.

١٧ سورة الأنفال - ٣٣

١٨ سورة الحجرات - ٧

١٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٠ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم."

٢١ "النَّاسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا". قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

٢٢ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»." (لو ٩: ٦٠).

٢٣ سورة المائدة - ١١٦

٢٤ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدَّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٢٥ سورة الذاريات - ٢٢

٢٦ سورة البقرة - ٣٠

٢٧ إشارة إلى حديث شريف طويل: " إنَّ اللَّهَ يتجلَّى لَهم يومَ القيامةِ ثمَّ يأتيهم في صورةٍ غيرِ الصُّورةِ الَّتي رأوْهُ فيها أوَّلَ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ نعوذُ باللَّهِ منكَ هذا مَكانُنا حتَّى يأتينا ربُّنا فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه. ثمَّ يأتيهم في الصُّورةِ الَّتي رأوْهُ فيها في أوَّلِ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ أنتَ ربُّنا." صحيح البخاري.

٢٨ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٢٩ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

٣٠ إشارة إلى الحديث الشريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٣١ سورة محمد - ٢

٣٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٣ سورة البقرة - ١٨٦

٣٤ سورة القيامة - ١٧

٣٥ سورة الانفطار - ٥